سلسلة الرسائل (٢)

رسالة لطالبة العلم

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ

مقبل بن هادي الوادعي

حفظها الله تعالى

دار الوادعية

alwadei967.blogspot.com telegram.me/alwad3ya

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد

فهذه رسالةٌ لطيفة لطالبة العلم الشرعي، علم القرآن والسنة.

وهي في الأصل جوابُ سؤال ورد إليَّ من أخواتي في الله، في معهد أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -في سُمَطْرى الغربية- إندونيسيا، لكنها صالحة لكلِّ طالبة علم، فأحببت أن يستفيد منها الجميع، فاللهَ أسأل أن ينفعنا جميعًا بذلك.

والرسالة تتعلَّق بهذه الأُمور التالية:

إصلاح النية، الاجتهاد، اغتنام الفرصة، شرف المرأة إذا فقُهت في دين الله.

(إصلاح النية)

لِنعلم أن العمل بغير إخلاص يذهب سُدى من غير فائدة.

قال تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

وروى الإمام مسلم (٢٩٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفوائد» (٤٩): الْعَمَل بِغَيْر إخلاص وَلَا اقْتِدَاء كالمسافر يمْلَأ جرابه رَمْلا يثقله وَلَا يَنْفَعهُ. اهـ.

ولم يقتصر الأمرُ على ذهاب أجر العمل وإحباطِه وإبطاله بل هو من أسباب دخول النار، كما في الحديث الذي رواه مسلم (١٩٠٥) عن أبي هريرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

وأخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/٣٣٢) عن مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ يَقُولُ: إِذَا تَعَلَّمَ الْعَبْدُ الْعِلْمَ لِيَعْمَلَ بِهِ كَسَرَهُ عِلْمُهُ وَإِذَا تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ بِهِ زَادَهُ فَخْرًا.

والأثر حسن.

ولهذا يقول الشوكاني في «قطر الولي شرح حديث الولي» (٤٤٠): وَمن كَانَ ثَمَرَة ريائه هَذِه الثَّمَرَة، وَعجز عَن صرف نَفسه عَنهُ فَهُوَ من ضعف الْعقل، وحمق الطَّبْع بمَكَان فَوق مَكَان الْمَشْهُورين بالحماقة. اهـ.

فعلى كلِّ من يطلب العلم رجالًا ونساءً أن يحرصوا على حُسن النية؛ ليجدوا الثمرة الجميلة والنتيجة الحسنة، فلا يُجعل عمل الآخرة لحطام دنيا فانٍ زائل، أو سمعة ورياء، أو محبة مدحٍ وثناءٍ، أو للتكاثر فإن هذا خسارةٌ ومهلكَة، ومن أسباب نزع بركة العلم، وفقد ثمرة العلم الذي يكسو صاحبَه حُلَّةَ الخشيةِ والوقار والنور، وطاعة لعدوه الشيطان الرجيم.

- وبالإخلاص يفوز بخيرَي الدنيا والآخرة، فقد قال ربُّنا سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣].

فلن يفوتَ شيءٌ مَنْ أخلص لله في عمله وطلبِه للعلم، بل كلُّ خيرٍ يأتيه.

الدنيا والأرزاق تأتيه حتى إن والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يقول: طلب العلم من أجلِّ المكاسب. اهـ.

- اشتهارُ صِيْتِه كالمِسك في الأبعدين والأقربين.
- الثناء عليه ومدحه ومحبته والدعاء له.
- بركةُ العلم ونُموُّه وتزايده والانتفاع به.

ومَن لم تحسُن نيتُه فلا ذا ولا ذاكَ يحصلُ له، وذلك الخُسرانُ المبين.

(الاجتهاد)

الاجتهاد في طلب العلم لا بُدَّ منه لِمَن أراد الثمرة والنتيجة في طلبِ العلم، يقول الله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مريم:١٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسير هذه الآية» (٦٣٥): دلَّ هذا على أن من جدَّ واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نَوْعَي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين. اهـ.

ومع المجاهدة في تحصيل العلم لا بُدَّ من مراعاة الأمور التالية:

❁ محبة العلم النافع محبةً شديدة:

حتى إنَّ والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لابُد أن يكون العلم أحب إليك من نفسك ومن ولدك ومن مالِك.

ويقول: ما أحسن العلم أحسن من المُلْك، وأحسن من الرئاسة، وأحسن من النساء الجميلات.

❁ الصبر على العلم:

فبالصبر واليقين تُنالُ الإمامة في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة].

قال يحيى بن أبي كثير لولده عبد الله: «لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ»أخرجه مسلم (تحت رقم ٦١٢) في كتاب الصلاة، عندما استوعب طرقًا كثيرة لمتن حديث واحد.

والشاعر يقول:

اطلبن ولا تضجرَن من مطلَبٍ ❁❁❁ فآفة الطالبِ أن يضجرَا
ألا تــرى الحبل بتكـــــرارِه ❁❁❁ في الصخرة الصَّماء قد أثَّرَا

وقال آخر:

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْإِدْلَاجِ بِالسَّحَرِ ❁❁❁ وَبِالرَّوَاحِ عَلَى الْحَاجَاتِ وَالْبُكُرِ
لَا تَعْجِزَنَّ وَلَا يُضْجِرْكَ مَطْلَبُهَـا ❁❁❁ فَالنُّجْحَ يَتْلُفَ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالضَّجَرِ
إِنِّي رَأَيْتُ وَفِي الْأَيَّـــامِ تَجْرُبَـــةٌ ❁❁❁ لِلصَّبْرِ عَـــاقِبَةً مَحْمُـــودَةَ الْأَثَرِ
وَقَـــلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُطَـــالِبُهُ ❁❁❁ وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ

❁ عملٌ دؤوب مستمر:

روى الحاكم في «المستدرك» (٣١٢) عَنْ أَنَس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُومٌ فِي دُنْيَا لَا يَشْبَعُ**».

ومَن ثبَتَ نبَتَ، وما أقلَّهم.

فالكثير يطلب العلم ثم ينقطع إما يُفْتَنُ بالدنيا فتشغله، أو أمراض تعيقه، أو مسئولية أولاد تمنعه، أو غير ذلك، ولهذا يقولُ النّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**» رواه مسلم (١١٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن نصائح والدي رَحِمَهُ اللَّهُ التي استفدناها منه: اجتهدوا قبل أن تأتيكم الصوارف. اهـ.

وقال إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي: كَثُرَ مَنْ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ فِي زَمَنِ الْأَعْمَشِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، مَا تَرَى مَا أَكْثَرُهُمْ؟ قَالَ: لَا، تَنْظُرُوا إِلَى كَثْرَتِهِمْ، ثُلُثُهُمْ يَمُوتُونَ، وَثُلُثُهُمْ يَلْحَقُونَ بِالْأَعْمَالِ، وَثُلُثُهُمْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ يُفْلِحُ وَاحِدٌ.

رواه الخطيب في «جامعه» (٩٦/١) بسند حسن.

❋ عدم القناعة بالقليل من العلم مع القدرة على الكثير:

قال الله سبحانه لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه].

وقال الإمام البخاري في «كِتَابِ العِلْمِ»، «بَابُ الحِرْصِ عَلَى الحَدِيثِ»، ثم أخرج حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٩٩) قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**».

❋ الاهتمام بالحفظ وتعاهد المحفوظات لئلَّا تُنسى:

روى البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١) عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تَعَاهَدُوا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**».

قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١٤/١٣٣): فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَعَاهَدْ علمَه ذهب عنه، وَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ الْمُيَسَّرُ لِلذِّكْرِ يَذْهَبُ إِنْ لَمْ يُتَعَاهَدْ فَمَا ظَنُّكُ بغيره من العلوم المعهودة ؟!

وخير العلوم مَا ضُبِطَ أَصْلُهُ وَاسْتُذْكِرَ فَرْعُهُ وَقَادَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَدَلَّ عَلَى مَا يَرْضَاهُ. اهـ المراد.

(اغتنام الفُرصة)

فالحياةُ فُرَصٌ، والفُرَص تمرُّ مرَّ السحاب.

والفرص في أشياءَ كثيرة نذكر منها ما يلي:

❁ فُرصة العافية والقوَّة

أخرج ابن ماجة في «سننه» (٣٨٤٩) عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَلُوا اللَّهَ الْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْمُعَافَاةِ.

والعافية لا تدوم، والقوَّة بعد مرحلة الشباب تبدأُ تتلاشى وتتناقص قليلًا قليلًا، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الرُّومِ: ٥٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: -بعد الشباب- يَشْرَعُ فِي النَّقْصِ فَيَكْتَهِلُ ثُمَّ يَشِيخُ ثُمَّ يَهْرَمُ، وهو الضَّعْفُ بَعْدَ الْقُوَّةِ، فَتَضْعُفُ الْهِمَّةُ وَالْحَرَكَةُ وَالْبَطْشُ، وَتَشِيبُ اللِّمَّةُ، وَتَتَغَيَّرُ الصِّفَاتُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ، وَلِهَذَا قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ﴾ أَيْ: يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَتَصَرَّفُ فِي عَبِيدِهِ بِمَا يُرِيدُ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾. اهـ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير سورة الحديد رقم الآية (٢٠): الإنسان يكون فِي أَوَّلِ عُمْرِهِ وَعُنْفُوَانِ شَبَابِهِ غَضًّا طَرِيًّا لَيِّنَ الْأَعْطَافِ، بَهِيَّ الْمَنْظَرِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَشْرَعُ فِي الْكُهُولَةِ فَتَتَغَيَّرُ طِبَاعُهُ وَيَنْفَدُ بَعْضُ قُوَاهُ، ثُمَّ يَكْبَرُ فَيَصِيرُ شَيْخًا كَبِيرًا ضَعِيفَ الْقُوَى، قَلِيلَ الْحَرَكَةِ يُعْجِزُهُ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ. اهـ المراد.

وَلهذا يقول ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ». أخرجه البخاري (٦٤١٦).

❋ فرصة الفراغ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**» رواه البخاري (٦٤١٢).

- هذا الحديث فيه: أن الصحةَ والفراغ نعمتان من الله.
- وفيه: الحث على استغلال هاتَيْنِ النعمتين في طاعة الله والأعمال الصالحة.

وكم يُفسد الفراغ ويشغل في أمورٍ تافهة وضياع، ويكثر بسببه الخروج والدخول والتسوُّق والزيارات، والتفكيرات السيئة التي هي مِن تلاعب الشيطان الرجيم.

فالفراغ مفسدة ورائٌ قتَّال، يجرُّ إلى عواقب وخيمة سيئة.

وكان والدي رَحِمَهُ اللَّهُ إذا رأى جدالًا بين طلبة العلم، يقول: هذا ناشئٌ عن فراغ.

أو رأى فُرْقةً واختلافًا بين طلبة العلم، يقول: هذا يَدْمَى له القلب أن يكونَ فرقةً وعداوة بينك وبين أخيك. اهـ.

واحذري مجالسة الفارغات فالجليس يؤَثِّرُ على جليسه، والله سائِلُنا عن كلِّ دقيقة من أوقاتنا.

واهتمي بالعقيدة وتعلَّمِيها فإنها تبعث الخوف من الله وتعظيمه وتقواه، واليقظة من الغفلة، ادرسي «العقيدة الواسطية»، ادرسي «عقيدة السلف» للإمام الصابوني، ادرسي «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»...

اهتمي بالعلم النافع فإن العلم يشغل الوقت ولا يترك منه شيئًا زائدًا، وهذا معدودٌ في فضائل العلم أنه يشغل الفراغ في الخير ويوصل إلى طريق السعادة والجنة. فلنشغَلِ الأوقاتَ بالقرآن الكريم وتلاوته والتفقه في أحكامه ومعانيه، فقد قال النّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» رواه البخاري (٥٠٢٧) عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولننتهز الفُرَص في طلب العلم والتفقه في دين الله وفيما يُقَوِّي الإيمان ويزيده، وفي اللغة العربية حتى نفهمَ ديننا فهمًا صحيحًا، وتستقيم ألسنتُنا من الاعوجاج، فاليوم فراغٌ وغدًا شغل، وخاصَّةً المرأة قد تأتيها شواغل وصوارف لا تخفى عليها فتضعفُ بسببها، وقد تنقطع بالكليَّة.

❁ فرصة تيسُّر تلقِّي العلم على يدي أهله

هذا من أعظم النِّعَم والفُرَصِ، وهذه النعمة تُفْقَدُ سريعًا بعد أيام أو سنين.

سيفقدُني قومي إذا جَدَّ جَدُّهمُ ❁❁❁ وفي الليلة الظَّلْماءِ يُفتَقدُ البدر

وإنِّي إذ أكتبُ هذه الكلمات تذكرت أيام والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأحسن جزاءَه، تلك الأيام السعيدة، العامرة بالعلم والتعليم، والترغيب والتشويق فيما عند الله والدار الآخرة، لا نلتفت يمينًا ولا يسارًا لغير العلم، حياة علم ودروس ومذاكرة، حياةٌ مؤثِّرَة على القلوب، وانتهت تلكَ الأيامُ في طرفة عين، ولا زلنا

ولله الحمد نجد حلاوتها ولذَّتَها، نسأل الله أن ينفعنا بتلك الأيام الجميلة وأن يثبتنا حتى نلقاه.

❋ فُرْصة اللقاءات

فقد ثبت عَن عبد الرَّحْمَن بن مهْدي قَالَ: «كَانَ الرجل من أهل الْعلم إِذا لَقِي من هُوَ فَوْقه فِي الْعلم فَهُوَ يَوْم غنيمته، سَأَلَهُ وَتعلم مِنْهُ، وَإِذا لَقِي من هُوَ دونه فِي الْعلم علمه وتواضع لَهُ، وَإِذا لَقِي من هُوَ مثله ذَاكَرَه وَدَارَسَه» أخرجه أحمد بن أبي خيثمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تاريخه» (١٠٣٦/١).

❋ فرصة الحياة

تقدم عن ابن عمر «وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

فالحياة فرصة، وما الحياة إلا عبارة عن يوم أو بعض يوم أو ساعة أو عشية أو ضحاها، كما جاء في عددٍ من الآيات القرآنية، بل كلمح البصر.

وما يدري الإنسان متى يموت، ما يدريه أنه قد أشرف على حافة القبر، ما يدريه أنه غدًا من الأموات وليس الأحياء، ومراحل العمر تُطوى من غير شعورٍ لها.

إن الليالي من الزمان مهوِّلَةٌ ❁❁❁ تُطْوَى وتُنشَرُ بينها الأعمار

فقصارُها مع الهمومِ طويلة ❁❁❁ وطِوالُها مع السرور قصار

❁ مواسم الخير

كالحج وشهر رمضان، وأبواب الخير كلها تعتبر فرصة لِمَنِ انتهزها، كالذكر والدعاء والاستغفار والصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحُسْن الظن بالله والتعلُّق به سبحانه لا بالبشر، والكلمة الطيبة وطلب العلم، وقد يأتي يومٌ وأنتِ تحت التراب، وقد يأتي يوم وأنت قد صُرِفْتِ عنها لضعفٍ أو مرضٍ أو شواغل.

فإذا كان الحالُ هكذا فإنه ينبغي اغتنام الفُرَص قبل فواتها وانقضائِها، قبل الندم ولات ساعة مندم، فكلنا قادم إلى ربِّه ومجازيه على عمله ومحاسبه على وقته وحياته، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ﴾ [آل عمران: ٣٠].

(شرف المرأة إذا فقهت في دين الله)

لقد شرَّف الله العلم وفضَّله وشرَّف أهله وأعلى منازلهم.

قال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه]، أمر الله بطلب المزيد من العلم لشَرفِه وفضله.

وقال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر]، وقال سبحانه: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد]، وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت].

وروى الإمام مسلم (٢٦٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**».

وروى البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧) عن مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**».

يقول النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**».

لم يقل: من أراد الله به خيرًا أعطاه الأموال وجعله غنيًا، أو أعطاه الجاه والمنصب، أو جعله رئيسًا مُطاعًا.

وأدلة فضل العلم وشرفه كثيرة، وهي غير منحصرة على الرجال، بل كلُّ من طلب العلم وانتفع به من الرجال والنساء فإنه ينالُ هذا الشرف وهذه المنزلة الرفيعة.

والمرأة التي تتعلم العلم تختلف عن المرأة الجاهلة لأن:

العلم طريق السعادة والعزّة والشرف والرفعة.

قال الله تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف:٤٤] أي: شرفٌ ومكانة، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء].

العلم يورث خشية الله سبحانه، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

وإذا لم يورث خشية الله فليس بعلمٍ نافعٍ لصاحبه.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «فضل علم السلف على علم الخلف»:

علامة هذا العلم الذي لا ينفع:

- أن يكسب صاحبَه الزَّهو والفخر والخيلاء.
- وطلب العلو والرفعة في الدنيا والمنافسة فيها.
- وطلب مباهاة العلماء ومماراة السفهاء.
- وصرف وجوه الناس إليه.

وقد ورد عن النّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من طلب العلم لذلك فالنار النار. اهـ.

- العلم يورث تقوى الله. وهذه هي السعادة بعينها.

ولستُ أرى السعادة جمع مالٍ ❁❁❁ ولكن التقي هو السعيد

- العلم يُهذِّبُ الأخلاق ويطَهِّر من أخلاق السَّفَلَةِ من كذبٍ ونفاق وخداع وغشٍّ وظلم واعتداء وسباب وفجور..
- العلم طمأنينة وراحة للقلب وعونٌ على الإيمان بالقدر خيره وشره، ويخفِّف من وطأةِ حرارة المصيبة، ويحلِّي بحلية الصبر.
- العلم يُبَصِّر المرأة بأهميةِ تربية الأولاد فتربيهم تربية إسلامية وتدعو لهم وتقوم برعايتهم.
- العلم نورٌ يستضاءُ به من السقوط في ظلمات الجهل والشبهات والشهوات والفتن.

ونحن في زمن الفتن لا ينجو منها إلا مَن سلمه الله وتبصَّر بأمورِ دينِه.

وكم دخل على المرأة من شرورٍ بسبب جهلِها بدينِها وإصغائها لدعوة المفسدين المغرضين، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها.

فيا له من شرفٍ عظيم ويا لها من كرامة رفيعة للمرأة المتفقِّهة في دينها في الأُولى والأُخرى.

وينبغي لأولياء المرأة من أبٍ وأخٍ وزوجٍ أن يعينوها على طلب العلم، وأن يحفِّزُوها على حفظ القرآن وإتقانه والفقه الإسلامي.

أسأل الله العظيم أن يفقهنا في دينه وأن ينفعنا وينفع بنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبُنا ونعم الوكيل.

٢٨ / ١٢ / لعام ١٤٣٩هـ.

تم بحمد الله